التراث بين مبررات القطيعة، ومبررات الإحياء في فكر زكي نجيب محمود

يعقوب عزوز/ طلب دكتوراه
جامعة الجزائر2

ملخص:
تهدف هذه الدراسة إلى الإحاطة ببعض معالم التراث عند المفكر "زكي نجيب محمود"، في سياق إشكالية الأصالة والمعاصرة، التي تعتبر من أبرز خطابات الفكر النهضوي العربي المعاصر، وإبراز قراءته ومواقفه من التراث الثقافي العربي؛ ولأن موقفه من التراث تراوح بين الرفض والدعوة إلى القطيعة معه تارة، والدعوة إلى إعادة قراءته بموضوعية بهدف إحيائه تارة أخرى، فقد تناولنا في هذا المقال عنصرين أساسيين: تناولنا في الأول منه مبررات ثورته الفكرية وقطيعتها مع التراث، وتناولنا في العنصر الثاني مبررات إعادة النظر في موقفه من هذا التراث، وما وجده فيه من محطات ومنجزات حضارية تستحق العناية والاجتهاد في إعادة بعثها من أجل بناء ثقافة عربية تتعايش فيها قيم الأصالة مع قيم المعاصرة..
الكلمات المفتاحية: التراث، القطيعة، الإحياء، زكي نجيب محمود..

Abstract:
This study aims to capture some of the heritage features of the thinker "Zaki Najib Mahmoud", in the context of the problem of authenticity and modernity, which is one of the most prominent discourses of contemporary Arab renaissance thought, and to highlight his reading and his positions on the Arab cultural heritage; And because his position on the heritage ranged between rejection and a call to break with him at times, and a call to re-read it objectively in order to revive it at other times, we have discussed in this article two main elements: In the first, we discussed the justifications for his intellectual revolution and its break with heritage.

In the second element, we discussed the justifications for reconsidering his position on this heritage, and what he found in it of civilizational stations and achievements that deserve care and diligence in reviving them in order to build an Arab culture in which the values of authenticity coexist with the values of contemporary. .
Keywords: heritage, estrangement, revival, Zaki Najib Mahmoud

مقدمـة:

خطاب الأصالة والمعاصرة، وما يرتبط به من مسألة التراث، واحد من أهم الخطابات التي شغلت حيزا معتبرا في الفكر العربي المعاصر، إنه خطاب أبانت عنه مساعي النهضة العربية الحديثة، التي أنتجت خطابات ومشاريع نهضوية متعددة، متباينة في مرجعياتها

التأسيسية؛ فنحن من دون شكّ أمة لها تاريخها، وتراثها الحافل بالانجازات والنجاحات، وفي الوقت نفسه لنا طموحات مستقبلية، ونريد منافسة حضارة الغرب الحداثية، وهنا اتجهت نخب الفكر العربي إلى البحث عن أسباب التخلف، والإخفاق النهضوي مقارنة بتلك القفزة الحضارية للغرب؛ ذلك التخلف الذي أوقع أمتنا في مأزق حضاري رهيب، أبانت عنه تلك الحملة الفرنسية على مصر، والتي كان من أبرز أسباب وعوامل يقظة شعوب الأوطان العربية من أحلامها التعيسة، وأوضاعها المشفقة؛ فأثارت هممهم، وأشعرتهم بحجم المسؤولية المنتظر تحمّلها تجاه قضية النهضة العربية، فكان أن تسارعت وتيرة العمل النهضوي، وبروز خطابات النهضة، التي صوّبت اهتمامها ومحورت انشغالها حول التأسيس لمشروع النهضة الحضارية للأمة العربية، والانتقال بها نحو أفق البناء والإشهاد الحضاري. بعض هذه الخطابات اتخذ من المرجعية التراثية السند والمقياس الكفيلين بضمان الهدف المنشود، واثقة فيما يحمله تراثنا من منتج حضاري يعبر عن أصالة الأمة ونجاحها، ومصدر كذلك لاستلهام معالم التفوق والتميز الحضاري، بينما راحت خطابات أخري تنفتح على الحضارة الغربية الحديثة، مؤمنة بها كمرجعية معلمية تقاس بها نهضة الحضارات الأخرى؛ فهي بنظرها حضارة القيم الإنسانية العالمية، وينبغي الاندماج فيها لتجاوز قيود الماضي الذي أوصد أبواب التقدم، وأغلق منافذ الانفتاح على غيرنا المتقدم.

وفي خضم هذا الجدلية والصراع بين الخطابين النهضويين، والعلاقة بين التراث والمعاصرة، يبرز خطاب نهضوي ثالث، يتخذ من المواءمة بين ثقافة الأصالة التراثية وثقافة المعاصرة، سبيلا لتحقيق توازن حضاري يليق بالمجتمع العربي.

وليس من شك أن الحديث عن إشكالية الأصالة والمعاصرة عموما، ومسألة التراث من حيث قيمته ومكانته الحضارية في فكرنا العربي، يقودنا حتما إلى الحديث عن فكر الفيلسوف الأديب "زكي نجيب محمود"، الذي انشغل بتحليل هموم المجتمع العربي، والسعي نحو إخراجه من أزمته الحضارية والفكرية، التي أحاطت به سنين طويلة. وإحداث مثل هذا التغيير لا يكون إلا بتجديد الثقافة العربية تجديدا قادرا على إحداث حركية فاعلة في مختلف جوانب ومظاهر الحياة، منميّة روح الوعي بالذات، ومبصّرة نحو ثقافة العصر بقيمها الإنسانية، ومنتجها العلمي.

والحديث عن قيمة التراث في البناء الحضاري عند "زكي نجيب محمود" هو حديث كذلك عن فكر رجل محلل وناقد، ومفكر مجدد ذو ثقافتين، ولنقل كذلك حديث عن فكر التطرّف والاعتدال..؛ والحديث عن هذا الوصف الأخير، هو الذي يتمحور ضمنه مقالنا هذا، الذي سنحاول أن نستجلي من خلاله بعضا من معالم خطابه الفكري عن التراث، موضحين أولا معالم التطرّف الثقافي عنده، من خلال إشادته الصريحة بمكانة وقيمة الحداثة الحضارية للغرب، التي ينبغي الاندماج فيها غير متوجسين، ولا حذرين، ولا ناظرين إلى ماضينا التراثي، ثم بعدها أوضحنا معالم الاعتدال الثقافي عنده، والدعوة إلى إحياء قيم التراث، وهي المعالم التي تجلت من بعد قراءته المستفيضة للتراث الحضاري العربي والإسلامي، ومن خلالها إعادة بناء مشروعه النهضوي، المؤسس على تفاعلية التعايش بين ثقافتي التراث وقيم المعاصرة..

ولأجل الإحاطة بهذه المسائل؛ فقد محورنا مقالنا هذا الذي عنوانه "التراث بين مبررات القطيعة ومبررات الإحياء في فكر زكي نجيب محمود" تحت إشكالية عامة مفادها: ما قيمة التراث في مشروع التجديد الحضاري عند زكي نجيب محمود؟ وأدرجنا ضمنها تساؤلين

أساسيين: ما مبررات الثورة على التراث العربي والدعوة إلى القطيعة معه؟ وما مبررات التحوّل نحو خطاب الاهتمام بالتراث والدعوة إلى إعادة قراءته وإحيائه؟..

عرض:

أولا: مبررات القطيعة مع التراث:

يقول زكي نجيب محمود في كتابه "بذور وجذور" «وإنّي لأزعم أنّ أحد العلل الكبرى التي قيّدت انطلاقتنا الفكرية نحو أن نبدع فكرا جديدا مع المبدعين، هي أنّنا اكتفينا في معظم الحالات بحفظ ما كتبه الآخرون من الماضي، فدارت بنا الحياة وأفلتت منا حقائق الأشياء، وأصبحنا كمن يعيش في ضلالها»[1].

وفي كتابه "تجديد الفكر العربي" يقول مخاطبا الجماهير العربية خطاب لوم «لأن جماهيرنا منذ الأزل – أزل التاريخ المدوّن - مفتونة بالغيب دون الشهادة، بالباطن دون الظاهر..فإذا وجدت رياح تهب عليها من هنا أو هناك.. مالت معها وهي في حالة من شكر النشوة والوجد... اجتاحت جماهير الناس موجات من اللاعقلانية الهيمانية، بل ربما كانت هذه اللاعقلانية مغروزة في طبائعها كألوان جلودها، تنفر ممن يحاول إزالتها وتميل مع من يزيدها في أنفسهم رسوخا، فجماهيرنا دراويش بالوراثة، فإذا عقل بعضهم كان ذلك قبسا دخيلا على طبع أصيل، ولا عجب أن تروج فيهم الخرافات و"الكرامات" والخوارق بأسرع من رؤية البرق إذا لمع»[2].

إنّ ما نلمسه بوضوح من مضمون هاتين المقولتين، هو قناعة زكي نجيب محمود بضرورة تجاوز العقل العربي لتراثه الفكري الذي لم يعد يجدي نفعا، بل إنّه سبب مأساة التخلّف الحضاري الذي يعيشه مقارنة بما بلغه العقل الغربي من وثبة حضارية؛ لقد غرق العقل العربي في براثن التخلّف الفكري، واستيلاء الأفكار الخرافية والخزعبلات الفكرية عليه، حتى حجبت عنه رؤية نور الحضارة المشرق من الغرب.

لقد بدأ زكي نجيب محمود مشروعه التجديدي بالثورة على الموروث الحضاري، حاملا معول الهدم لذلك التراث بما حواه من منتج حضاري، فكريا كان أم علميا، داعيا إلى ضرورة مسايرة علوم العصر التي تزخر بها الحضارة الغربية، وخصوصا العلوم الطبيعية منها، فهذه العلوم هي علوم واقعية، وتعبّر عن مدى فهم العقل الأوربي لحقائق الكون الطبيعي؛ ولما كانت مشكلات الحاضر، ومناهج بحثها، ليست نفسها ما كانت عليه في الماضي، فمن الأجدر إذن للعقل العربي مسايرة الحاضر بعلومه ومناهجه، من أجل تحقيق البناء الحضاري الجديد.

غير أن تلك الثورة التي شنّها زكي نجيب محمود على التراث العربي والإسلامي، لم تكن ثورة العاطفة، بقدر ما كانت ثورة عقل متدبّر ومستنير، أو لنقل إنّها ثورة ابستمولوجية واعية؛ فهذه الثورة الرافضة لذلك التراث، إنما مردّها ما لاحظه من عجز في العقل العربي عن إيجاد سبل العلاج المناسبة لمشكلات وأزمات الحياة اليومية التي غرق فيها، ومرد هذا العجز بالأساس، إنّما هو اعتماد القيم الموروثة كمنهج، أو لنقل كمرجعية لبحث مسالك العلاج الناجح، وكيف لها بتحقيق النجاح، ومشكلات البحث الراهنة تختلف عن مشكلات الماضي؟.

1- زكي نجيب محمود، بذور وجذور، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1990، ص116.

2- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1978، ص 162، 163.

إن العقل العربي إذن يعيش حالة تمزق حضاري، فهو من جانب متشبّث بموروثه الحضاري، ويقدّس مناهج السلف وعلومهم ومنتجاتهم القيمية، ومن جانب آخر يتشوّق لأن يعيش حاضرا جديدا له متطلباته ومشكلاته المختلفة عن مشكلات الماضي وقيم التراث. ومن هذا المنطلق ولأن حضارة العصر التي أصبح الغرب رائدا فيها ولها، هي حضارة العلم والتقنية، فليس للعقل العربي إن هو أراد الإشهاد والحضور الحضاريين، إلا أن يساير مناهج العلوم الجديدة، والانفكاك عن سلطان تراث الماضي، وتقديس المنتج التراثي الذي لا ننكر أنّه صنع لحضارة العرب والإسلام سابقا مجد الريادة، وكان منهلا نهلت من مناهجه وعلومه عديد الحضارات الأخرى؛ غير أن هذا التقديس، وذلك التعلّق الأعمى بتراث الأجداد والتبرّك به، وتجديد ألحان التغنّي بفضله في كل المناسبات والعصور، والعيش على جمال طربها، والانصراف بعيدا عن مستجدات المسار الحضاري الجديد، ورهانات الواقع الحقيقي، كانت كلّها من الأسباب التي ساهمت في صناعة أبجديات تخلّفه.

ومن منطلق هذه المعطيات الحضارية، ولأنّ أوضاع العصر الحاضر كذلك تغيّرت، وموازين القوة غيّرت وجهتها، واستقرت عند الغرب حاضرا، فإن ذلك الموروث الحضاري لم يعد إلا محطة تاريخانية، أفل سطوعها وتلاشت قيمتها؛ وهنا فليس أمام العقل العربي إلا أن يغيّر وجهته كذلك، ويقطع صلته بتراثه الذي أصبح عنوانا للتخلّف، إن هو أراد أن يبقى حيا يتنفس من هواء الحضارة الجديدة التي لا يمكن إنكار فضلها وسيطرة منتجاتها العلمية، وإبداعات مناهجها. وهنا نراه يخاطب العقل العربي داعيا إياه إلى ضرورة «أن نبتر التراث ونقطع الصلة به نهائيا، وأنّه لا يكون لنا خلاص من التخلّف الثقافي إلا إذا كتبنا من اليسار إلى اليمين وأكلنا كما يأكلون»[3].

لقد عاب زكي نجيب محمود عن العقل العربي، ونخب الفكر العربي والإسلامي عموما، مركزة جهدهم في البحث عن سبل إحياء محطات التراث المشرقة، مشخصين داءنا الحضاري الراهن، بذلك الانسلاخ عن قيم تراثنا، جاعلين بذلك إحياء التراث الوصفة العلاجية المناسبة، لبلوغ الهدف الذي هو اللحاق بالركب الحضاري الذي يقوده الغرب، بعلومه الواقعية والعملية. متغافلين عن حقيقة أننا نعيش في عالم متحوّل ومتغيّر، إنّه عالم حي، في مقابل ماض تراثي ميّت، وليس من المنطق أن نجعل للميّت سلطة على الحيّ، ونمنح للماضي سلطة قيادة الحاضر وتوجيهه. فأوروبا الحضارية التي يريد هؤلاء منافستها، صنعت نهضتها بعد أن قطعت الصلة بماضيها التراثي، واتجهت الوجهة العلمية الجديدة، بدل أن تتجه نحو قراءة كتب السابقين وتنشغل بجدالات عقيمة.

لقد أسست صرحا علميا جديدا مؤسس على التجريب الحسي الواقعي، الذي يحتاج إليه كل عقل يريد بناء حضارة جديدة، يقول وهو معجب بالمسار العلمي الذي انتهجته أوربا « لماذا تقدّمت أوربا بعد تخلّف وتخلّفنا بعد تقدّم؟... لقد حاولت أوربا منذ نهضتها أن تقف الوقفة العلمية التي تبتكر بها كلّ يوم حقيقة جديدة، بينما اتجهنا نحن خلال نفس الفترة نحو الماضي نبدي في نصوصه المكتوبة ونعدد»[4]. فالسرّ في تخلفنا إذن إنّما هو ذلك الحرص الشديد على التنقيب في التراث، والإصرار على إحيائه، ومنحه الوصاية في تسيير الحاضر وفقه شؤونه، وهذا ما جعله معوِّقا أساسيا في مسار البناء الحضاري الجديد.

3- زكي نجيب محمود، شروق من الغرب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1983، ص20.

4- زكي نجيب محمود، هذا العصر وثقافته، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1982، ص56.

إن تأثّر زكي نجيب محمود بحضارة العقل الأوربي في مسار نهضته، التي اتجهت نحو العلوم الواقعية، ودراسة الطبيعة على أسس عقلية وعلمية، يبدو جليا للعيان، بل إنّه يبدي بحماسة هذا التأثر ويدعو العقل العربي إلى السير مسار العقل الأوربي، في عديد المواضع، وهذا ما نلمسه مثلا في قوله وتجاوز «إن أوربا حين نهضت من عصورها الوسطي كان سر نهوضها هو خروجها من بطون الكتب إلى عالم الأشياء، إلى دنيا الواقع تقرأ كتاب الكون لتضيف علما جديدا إلى علم قديم، وهنا وقف العالم العربي مكانه من الورق وما كتب عليه، ترك أوربا لتنفرد وحدها بكتاب الطبيعة، فكان لها من الوثبات في الكشف عن أسرار العالم، ثم كان للأمة العربية من وقوفها تعيد ما كانت قد بدأته وفرغت منه، ثم تعيده كرّة ثانية وثالثة»[5]؛ فأوربا التي أصبحت قبطان وربّان سفينة الحضارة الجديدة، بلغت ما بلغته من النهضة، ليس بالتنقيب في الماضي الذي كثيره ميّت، ولم تضيّع وقتها في قراءة كتب الماضي، كما فعل العقل العربي، بل لقد حصل لها ذلك بالاتجاه نحو كتاب الطبيعة، لتكتشف أسرارها، وتفقه قوانينها، بينما بقي العقل العربي تائها في تفسيرات وشروحات كتب السابقين.

ويزداد إعجابه بالنهضة العلمية الأوربية، والذي يعكس كذلك تأثّره العميق بالفلسفة الوضعية المنطقية، حينما رأى في علومها الخلاص الذي أخرج حياتنا الفكرية من نمطها البدائي، فنحن لولا تلك العلوم التي أبدعها الغرب، واقتبسنا من نورها، لانكشفت حقيقة حياتنا، والتي سوف تظهر بطبيعتها هي نفسها حياة الإنسان في مرحلة الحياة البدائية.

إن التراث الحضاري كما لم يكن صانعا لنهضة أوربا، فهو كذلك ليس بصانع نهضتنا الحضارية الجديدة، ولم تعد له من المكانة إلا باعتباره حدثا تاريخانيا، وليس أمام العقل العربي إلا إعلان الثورة عليه، والاتجاه نحو ثورة البناء الحضاري الجديد الذي أساسه العلم ومدى قدرة الإنسان على استغلال عقله وعلومه في فهم الطبيعة، واستغلالها بعيدا عن النقاشات العقيمة مثل قضايا الميتافيزيقا التي كثيرا ما تضمّنها تراثنا العربي والإسلامي، وأغرقت العقل في جدالات عقيمة لم تزده إلا بعدا عن جوهر المشكلات التي ينبغي البحث فيها وتعود عليه بالنفع الواقعي؛ وهنا نجد زكي نجيب محمود ينظر إلى تلك النخب الفكرية العربية والإسلامية، التي استكانت إلى الماضي، وأمّنت حقول معارفها بالتراث، نظرة ازدراء وتهكم، لأنهم في منهجهم هذا لم يبدعوا شيئا، ولم يضيفوا ما تستحق الإشادة به، بل إن كلّ ما في الأمر أنهم عادوا إلى التراث المنتهية صلاحيته، واختلقوا لأنفسهم فيه ركنا هادئا يحتمُون فيه، نفورا من الواقع الجديد، وعجزا عن مجابهة مشكلاته التي يعتبر العلم الطبيعي مفتاحا لحلّها، وهم من هذا العلم لا نصيب لهم، يقول مستهترا بهذا الوضع الفكري الذي آل إليه العقل العربي: «والذي أزعمه عن حياتنا الثقافية اليوم هو أنّ هذا الجانب الفكري منها الذي لا هو إبداع أدبي ولا فني ولا هو من زمرة العلوم قد ضعفت في نفوسنا خبرته... وقد مال الناس نحو رفض عصرهم هروبا إلى الماضي ليختاروا منه ركنا آمنا هادئا»[6]؛ فليس التراث بزعمه إلا ذلك الملجأ الذي يستكين فيه العاجزون عن مسايرة مشكلات العصر، وحل أزماته بالمناهج العلمية الحديثة، وليس في إعادة بعثه ما يغنينا في حياتنا الحاضرة، التي هي حياة العلوم الطبيعية، وحياة العقل الثائر على خرافات الماضي

5- زكي نجيب محمود، بذور وجذور، ص125.

6- زكي نجيب محمود، بذور وجذور، ص122.

التي أصبحت تشكّل أصناما مرتسخة في العقول، وهرطقيات الرقص على أوتار الزمن الجميل، والحنين إلى إعادة بعثه.

لقد كان زكي نجيب محمود مؤمنا بضرورة ثورة العقل العربي على موروثه الحضاري، إن هو أراد بناء حضاريا جديدا، يتيح له فرصة الولوج في مسار صناعة التاريخ، والتأثير في مجرياته، هذه الثورة تبدو أنها تنشطر كما هو واضح إلى شطرين، فأمّا الأوّل منهما: فهو ثورة هدم التراث، طالما أنّه يجمِّد العقول ويشل فرص إبداعاته، وأما الشطر الثاني: فهو ثورة البناء، التي تعني إعادة هيكلة العقل العربي وفق نموذج مسار العقل النهضوي الأوربي، الذي اتجه نحو العلمية، فأصبح أكثر واقعية، وقدرة على فهم الكون الطبيعي، والريادة الحضارية.

وبتقصّي مضمون ثورته على التراث، والدعوة إلى ثورة البناء الحضاري الجديد، فليس من شكّ أن زكي نجيب محمود كانت له أسبابه التي تبرّر خطابه هذا تجاه الموروث الحضاري العربي، والإسلامي عموما، والدّعوة إلى الانسلاخ عنه بما يكفي لولوج عالم حضارة العلوم، وعدم الإيمان به كمرتكز قيمي، أو منهجي، قادر على الاستجابة لتطلعات الإنسان العربي المعاصر، واحتواء انشغالاته، وأزماته الحضارية الراهنة؛ ويمكننا هنا وبالعودة إلى ما سلف تحليله أن نستقرئ جملة من تلك الأسباب التي يبرّر من خلالها رفضه للتراث، والدّعوة إلى الأخذ بعلوم حضارة العقل الأوربي، وانتهاج منهجه.

- جمود الفكر العربي التراثي:

ففي اعتقاده أن الغرب حقق وثبة نهضوية بفضل تلك الوقفة العقلية والعلمية، التي انتهجتها في تفسير وعلاج مشكلاتها، وهي وقفة مستمدّة من الواقع الذي يحياه، وحينها راحت نخب الفكر الغربي تخرج من بطون الكتب المؤلّفة سلفا، متجهة نحو التأمل في عالم الأشياء، بهدف فهم قوانينه واستثمارها بما ينفعها عمليا، بينما بقي العرب يكررون التأليف في المشكلات نفسها، فأوربا برأيه «خرجت من بطون الكتب إلى عالم الأشياء، إلى دنيا الواقع، تقرأ كتاب الكون لتضيف علما جديدا إلى علم قديم، وهنا وقف العالم العربي مكانه من الورق وما كتب عليه... ثم كان من وقوفها تعيد ما كانت قد بدأته وفرغت منه، ثم تعيده كرّة ثانية وثالثة»[7].

هكذا هو حال العقل العربي عبر عقود طويلة من الزمن، لا يجتهد إلا في تمعّن نصوص الماضي الميتة، والنبش في أوراقه ، لعلّه يجد فيها ما يجديه نفعا من حلول سحرية لمشكلاته المتراكمة والمتلاحقة، لكن الواقع غير ذلك، فهو «لا يكاد يفتح خزانات آبائه، راجيا أن يجد فيها مراده، حتى يأخذ منه القلق مأخذا لا أظنه يصبر عليه طويلا، لأنه إنّما فتح تلك الخزانات وبين يديه مشكلات يعانيها ويريد لها الحلول، ولم يفتحها ليجعل من رفوفها متاحف يملأ بمرأى نفائسها المعروضة ناظريه، فكيف يطول به المقام عندها وهي لا تقدّم له حلا واحدا لمشكلة واحدة»[8].

- جملة المسائل والقضايا التي خاض السلف في بحثها خصوصا المسائل الكلامية، مثل صفات الذات الإلهية، وخلق القرآن، وقدم العالم، والجبر والاختيار..لم تعد لها من الأهمية ما يستدعي بحثها في عصرنا الحاضر، خصوصا وأنها مسائل جدالية يستعصي حلّها، ثم إن

7- زكي نجيب محمود، بذور وجذور، ص125.

8 - زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، ص98.

عصرنا الحاضر أصبح يطرح مشكلات حياتية مختلفة، تستدعي مناهج بحث جديدة، تتوافق مع متطلبات المشكلات والاهتمامات الراهنة، يقول زكي نجيب محمود « لننظر إلى حياتنا اليوم وما تواجهنا به من مشكلات أساسية لم يعد يصلح لها ما قد ورثناه من قيم مبثوثة في تراثنا، لسبب بسيط، هو أنّها لم تكن هي نفسها المشكلات التي صادفت أسلافنا حتى نتوقّع منهم أن يضعوا لها الحلول؛ وعلى رأس هذه المشكلات مشكلة الحرية بمعناها السياسي ومعناها الاجتماعي»[9].

إنّ المشكلات الراهنة التي نعيشها تختلف جذريا عن تلك التي عايشها وصادفها السلف، ولم يعد لهذا التراث من القيمة ما يستحق الاهتمام، فهو «يدور أساسا على محور العلاقة بين الإنسان والله، على حين أنّ ما نلتمسه اليوم في لهفة مؤرقة هو محور تدور عليه العلاقة بين الإنسان والإنسان»[10].

وهنا نستجلي حقيقة واضحة مفادها باعتقاد زكي نجيب محمود، أنّ التراث الفكري العربي تراث ميتافيزيقي، تتمحور موضوعاته حول قضايا الغيب التي يصعب الحجاج عليها واقعيا، في مقابل الفكر الغربي الذي اتجه نحو قضايا الحياة الواقعية. وفي السياق نفسه يضيف أن تراثنا الفكري مليء بأفكار وأحاديث أهل التصوّف، الذين تراهم يخوضون في مسائل يصعب تجريبها، مثل الكرامات والأولياء الصالحين، والنقاش حول مكانة الأولياء إلى جانب الأنبياء، ومثل هذه المسائل وغيرها كثير، لا تدرك عندهم إلا بالحدس والمكاشفة، وهي باعتقاده مسائل تجاوزها الزمن، ولم تعد تلقي في الفكر نفعا، يقول في هذا الصّدد «واضح لي أنّ هذا الجهد الفكري كلّه من أوّله إلى آخره مهما تكن أهميّته وخطورته بالنسبة لأسلافنا، فلم نعد بحاجة إليه اليوم إلا في حدود المتشوّقين إلى دراسة التواريخ»[11].

- المنتج التراثي غزير بالقضايا والمسائل اللامعقولة التي تساعد في انتشار أحاديث السحر والخرافة والأفكار الأسطورية التي يصعب حكم اليقين فيها، أو الاستفادة العملية منها، يقول كي نجيب محمود «وقد تجد في تراثنا أحاديث عن السحر والتعزيم، الرقى والتماتم..ألوف الصفحات مبعثرة هنا وهناك في أنفس ما خلّفه الآباء من ميراث ثقافي»[12]. وما يثير الغرابة هنا، هو أن هذا المنتج الثقافي ينتشر حتى عند النخب المفكرة والمتفلسفة، مثلما هو الأمر عن "إخوان الصفا" الذين اتسعت رسائلهم لتلك الأفكار اللامعقولة.

- المنتج الثقافي العربي كان يعبّر عنه بلغة اللفظ، وما يحمله من زخرف يستقطب النفوس ويؤثر في الأذواق، ولم تلك اللغة المعتمدة باعتقاد زكي نجيب محمود تهتم بدلالة اللفظ في العالم الطبيعي، يقول معبّرا عن ذلك «هذه الثقافة العربية - في كثير جدا من الحالات - لم يكن يعنيها أن تكون للصيغة الكلامية دلالة في دنيا الطبيعة وعالم الكائنات، إنّ الصيغ اللغوية إنّما تفعل فعلها كلّه ما دامت حسنة التركيب جميلة الجرس»[13].

وعلى هذا الأساس فإن «الشرط الضروري لكي تكون الجملة اللغوية صادقة في معناها لا بدّ لها من وسيلة يراجعها بها المتلقي على واقع معيّن، هو الواقع الذي جاءت لتشير إليه»[14].

9- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، ص73.

10- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، ص110.

11- زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، بيروت، ط4، 1978، ص408.

12- زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص438.

13- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، ص233.

14- زكي نجيب محمود، حصاد السنين، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2005، ص205.

فالثقافة العربية كانت ذات لغة جرسية رنّانة، تأخذ بالنفوس لتقحمها في عالم الخيال الفكري وتريحها هناك، بعيدا عن وصف وتفسير الواقع الحسي، الذي يقتضيه لغة قادرة على التعبير عنه وترجمة ظواهره؛ إنّها إذن لغة لم تعد تتوافق مع عصر العلوم والتقنية، وما تعانيه الأمة العربية من شحّ في الإبداع الثقافي والفكري، وسوء فهم الواقع، إنما سببه ذلك الخلل والغموض على مستوى استخدام اللغة؛ ولأن اللغة أداة معبّرة عن الفكر، بل وهي الفكر نفسه، فإن سوء استخدامها ينتج عنه بالضرورة سوء التفكير وفساد الأفكار، ولن يتغير منطق التفكير دون تغيير في منطق اللغة، وفي ملامح ثورته على لغة التراث يقول «إنّ موضع الضعف في ثقافتنا العربية يعود إلى ذلك الغبار اللفظي الكثيف الذي نلتف به فيحتوينا في جوفه احتواء يسدّ علينا مصادر الضوء»[15].

فمن مواضع عدم جدوى التراث الفكري العربي، أنّه معبّر عنه ومحاط بسياج لغة لفظية، تحاكي الخيال الأدبي أكثر من محاكاتها للواقع الطبيعي الذي يستوجب فهمه والتدبّر فيه، وهذا الأخير لن يتحقّق إلا إذا جعلنا اللغة وسيلة للفهم والدلالة الواقعية، وليست غاية نتهافت نحو امتلاكها والتنميق بها[16]؛ فالمثقف العربي في الماضي كان شأنه يزداد ومكانته تتفوّق وتسمو، بقدر إلمامه بقضايا وقواعد اللغة، والقدرة على التحليق بها في عالم الخيال، من غير اعتبار لمدى نجاعة مهمته تلك في الواقع المعيش.

ثانيا: مبررات إعادة قراءة التراث وإحياء قيمه:

رغم تلك الوقفة النقدية الثائرة التي شهدها فكر زكي نجيب محمود ضد التراث العربي، والدّعوة إلى تجاوزه، إلا أن هذه الوقفة لم تكن لتحافظ على ثباتها، إذ وبعد أن ناهز من العمر ستين عاما، انتقل ليشتغل أستاذا بكلية الآداب بالكويت بدعوة من جامعتها، وخلالها راح ينقب في أمهات كتب التراث العربي التي تزخر بها مكتبة الجامعة، ليجد فيها ما أرشده إلى التبصر، والتعمق في تفحّص التراث، والنظر إليه بعين المكتشف الذي كان يجهل حقيقة ما هو كثير نفعه.

لقد اكتشف أن في تراث السلف ما يصلح لثقافة العصر، ويساير متطلباتها، معلنا بذلك بداية قراءة جديدة للتراث العربي، وإعادة النظر في آرائه حوله، يقول «إنّني في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات حين دعيت إلى الأخذ بثقافة الغرب.. كنت في تلك الدّعوة على كثير من التطرّف لأنّني عندئذ نظرت للأمر من جانب واحد، هو جانب العصرية التي لا بدّ منها في إنسان اليوم، لكنّني أهملت الجانب الآخر الذي لا بدّ منه كذلك حفاظا من أي إنسان معاصر على هويّته الخاصة التي صنعها التاريخ، فجاءت نظرتي إلى الثقافة نظرة مبتورة تثبت جانبا وتهمل جانبا آخر، ولم أصحّح هذا الخطأ إلا في أواخر الستينات.. »[17].

ففي هذا النص نستقرئ نوعا من اللوم الذي ألقاه على نفسه، وهو يسير متطرّفا في طريق تمجيد ثقافة الغرب العصرية وازدرائه، ولا مبالاته بمكانة تراثنا الأصيل، يقول في موضع آخر معترفا بهذا التطرف الفكري «هكذا كان الرّأي عندي حتى بلغت فيه حدودا من التطرّف الذي لم يعرف لنفسه حيطة وحذرا»[18]. غير أن هذا اللوم هو في الوقت نفسه عامل يقظة

15- زكي نجيب محمود، بذور وجذور، ص130.

16- زكي نجيب محمود، نافذة على فلسفة العصر، مجلة العربي، أفريل، 1990، ص204.

17- زكي نجيب محمود، قصّة عقل، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1982، ص62.

18 - كي نجيب محمود، قصّة عقل، ص223.

ضميره، ومنه كان التأسيس لمشروع فكري تجديدي جديد، يعطي للتراث مكانة في تثبيت حقيقة الهوية التي ينبغي الاندماج فيها.

لم يعد التراث إذن مجرد منتج تاريخاني، يؤول بنا نحو الهاوية الحضارية، ويفقدنا قدرة التعايش مع مستجدات حضارة العصر؛ بل إنه منتج تاريخي، مستمر الإشعاع، والقدرة على الحضور الدائم في إثبات الهوية، وحينها يستوجب الأمر توطيد صلتنا بالتراث الثقافي الذي أبدع فيه السلف، من خلال توظيفه بإيجابية وفعالية في حياتنا المعاصرة، وينبغي بهذا الاجتهاد في إعادة إحياء قيم التراث، ومحاكاة مناهج السلف، لكن لا بد أن تكون محاكاة إبداع، فنحاكي منهجهم في المثابرة والاجتهاد الفكري في حل المشكلات، وليس نحاكيهم تقليدا في إتباع منهجهم، وأساليب عملهم، ونظرتهم إلى جزئيات الحياة وشؤونها، إنها محاكاة تتيح للفكر العربي فرصة الإبداع فيما هو أصيل، حتى تكون الثمرة حلوة المذاق تتوافق مع ذوق الحياة المعاصرة، وليس مجرّد طمع في قطف الثمار نفسها التي أنتجها وتذوّقها فكر العرب القدامى[19].

واعترافا بقيمة هذا التراث الحضاري يقول معترفا أن عبارة قال بها المؤرّخ والفيلسوف الانجليزي "هربرت ريد" قد انتشلته من حالة مخاصمة التراث، والأفكار المتضادة التي كانت تراوده حول قيمته الحضارية، ومضمون هذه المقولة ما نصّه: «إنني لعلى علم بأن هناك شيء اسمه التراث، ولكن قيمته عندي هي في كونه مجموعة من وسائل تقنية يمكن أن نأخذها عن السلف لنستخدمها اليوم ونحن آمنون بالنسبة إلى ما استحدثناه من طرائق جديدة»[20]؛ ويمكن القول أن هذه العبارة هي كذلك بمثابة الدفعة المؤثّرة في إعادة النظر حول طروحاته السابقة عن التراث العربي، الذي فيه من تقنيات العمل الحضاري ما يمكن الاستفادة منه، في مواجهة مشكلات العصر.

ولما يتحدّث زكي نجيب محمود عن قيمة التراث وأهمية العودة لاستجلاء معالمه، فإنّ الأمر نابع من اقتناعه الفاحص بأن في ذلك التراث طرائق منهجية، وآليات عمل اعتمدها الأسلاف في حل المشكلات التي تعترضهم في الحياة، وهنا تقتضي الحكمة أن نستلهم منه مثل هذه الانجازات الناجحة، التي تتيح لنا فرص استثمارها في حياتنا المعاصرة. ففي هذا التراث إذن توجد قيم في تصنع قوته، وتمنحه مبرّرات الإحياء والتجديد، وهو هنا يتحدث عن عديد تلك القيم التي يزخر بها تراثنا العربي، وتستدعي التنويه بها، والنضال من أجل إبقائها وإعادة إحيائها في الحاضر، يقول معبرا عن ضرورة خلق منافذ التواصل مع التراث الفكري « لكنّني جعلت غايتي شيئا آخر أظنّه من حقّي إذا أردته، وهو البحث في تراثنا الفكري عما يجوز لعصرنا الحاضر أن يعيده إلى الحياة، ليكون بين مقوّمات عيشه ومكوّنات وجهة نظره، وبهذا يرتبط الحاضر بذلك الجزء من الماضي الذي يصلح للدخول في النسيج الحي لعصرنا الذين يحتوينا، راضين به أو مرغمين»[21] ومن أهم تلك القيم التراثية التي يتقاطع بفضلها التراث مع ثقافة العصر تبرز:

- قيمة الحضور العقلي:

19- زكي نجيب محمود، قيم من التراث، دار الشروق، القاهرة، ص7.

20- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، ص17.

21- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، ص145.

فالتراث الفكري العربي يشهد ذلك الحضور العقلي المميّز، في تقصي الحقائق، والنظرة الحكيمة الواعية للحياة، لقد شهد التراث الفلسفي تيارات ومواقف فلسفية جعلت للعقل مكانة في استجلاء الحقائق، فيبرز هنا فلاسفة أمثال: الكندي وابن سينا والغزالي وابن رشد وإخوان الصفا والمعتزلة وأبي حيان التوحيدي، وفي الأدب تلمع شخصية الجاحظ، وفي البلاغة واللغة يبرز الجرجاني وابن جني..[22]؛ لقد شهد العقل العربي في الماضي تلك الحركية العقلانية في البناء الاستدلالي وفي الخطاب الحجاجي والبرهاني، وكان ينتقل من حقيقة إلى أخرى تتولّد عنها في صورة ارتباط العلة بالمعلول، أو المقدّمة بالنتيجة، أو في صورة التلازم بين الوسيلة والغاية، بطريقة الاستدلال العقلي، وليس مجرّد تصديق وجداني[23].

ولأنّه بفضل هذه المكانة التي تواجد عليها العقل، كان الإبداع في تراثنا، فليس يمنعنا اليوم مانع من أن نعيد استحضار هذه المكانة بما تحتاجه ظروف العصر ومشكلاته المستجدة، وهو ما عمل به من دون شكّ رواد الفكر النهضوي العربي، الذين راحوا يجدّدون بتبني خطاب عقلاني مستنير، ومتفتّح على ثقافة العصر، وما تحتاج إليه النهضة الجديدة من أفاق الفكر العقلاني.

- مكانة الاستدلال الاستنتاجي:

ولما كانت للعقل تلك القيمة والمكانة في النظر والتدبر، في شؤون الحياة، فإن من أبرز المحطات التي كان يزخر بها التراث العربي جرّاء ذلك وينبغي إحياء معالمها والحفاظ عليها، هي طريقة الاستنتاج في توقيع الأحكام وفقه تفصيلات الحياة؛ فقد كان العقل العربي ينتهج في استخلاص قواعد الفكر وكذلك السلوك، منهجا استنتاجيا محكما، ينتقل فيه من الكل إلى الجزء، أو من العام إلى الخاص، وحينها كان يتدرّج من المبادئ العامة لينزل بها إلى مستوى التفصيلات والتطبيقات العملية، ومن أمثلة هذا التدرج العقلاني، ما تعلّق بالشأن الأخلاقي؛ فالأخلاق في الثقافة الإسلامية تعتبر من المبادئ العامة التي يسير بمقتضاها سلوك البشر، وهي تتضمّن قواعد عامة تفصّل في دلالات الخير والشر، وبمقتضاها تتحدد طرق المعاملات بين الناس، وتوجيه السلوك نحو ما ينبغي أن يكون عليه[24]؛ وهنا نلحظ كيف أن الحكم الخلقي على السلوك العملي الذي يصدر عن الشخص، هو تطبيق للقاعدة الأخلاقية العامة، وخضوع لها.

ولأن زكي نجيب محمود كان ذا توجّه وميل علمي تجريبي، وأن العلوم التجريبية الحديثة تتخذ من الاستقراء العلمي الذي يتدرّج فيه الفكر من الجزء إلى الكل، أو من العيّنات الجزئية إلى استخلاص المبادئ والقوانين العامة، وحتى لا يقع في مشكل تعارض متطلبات العلم الحديث مع طبيعة المنهج الاستنتاجي الذي ساد في التراث الفكري العربي، ونتمكن من الجمع بين طريقة استدلال السلف، وطريقة بحث علوم العصر، فقد دعا إلى أن نقسّم مجال البحث في حياتنا إلى قسمين، لكلّ منهما منهجه الذي يوافق موضوع بحثه، فأما القسم الأوّل فهو قسم الدراسة العلمية وما يرتبط بها من صناعات واهتمامات علمية متفرعة منها، ويكون منهجها هو منهج الاستقراء العلمي، الذي يتأسس على تقصي الظواهر الواقعية الجزئية، والاتجاه نحو صياغة القوانين المناسبة، وأما القسم الثاني، فهو قسم المباحث القيمية، من

22- زكي نجيب محمود، قيم من التراث، ص8.

23- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، ص310.

24- زكي نجيب محمود، قيم من التراث، ص8، 10.

خلقية وجمالية، ويكون منهج بحثها إستنتاجيا، حيث يتدرّج فيه الفكر تنازليا، مستهديا بمبادئ مسبقة، وإسقاطها على التفصيلات الجزئية[25].

- التراث العربي يتعايش فيه منطق العقل بشحنة الوجدان، وهنا يشير زكي نجيب محمود إلى أن التراث العربي تميّز عن غيره من تراث الحضارات الأخرى في كونه جمع بين المنطق العقلي، والبعد الوجداني، في تأسيس الفكر الحضاري، هذا الوجدان الذي يصفه بقوله: «مجموعة ضخمة ومعقّدة ومتشابكة من عناصر تكمن في بواطننا، منها الغرائز، ومنها المشاعر، ومنها ذكريات عمّا تعلّمناه ونشأنا عليه، ومنها اعتقادات وعقائد آمنا بها حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من نفوسنا، ومنها "قيم" بثت فينا منذ أن كنّا رضّعا على حجور أمّهاتنا، وهي هي نفسها التي نجملها كلّها في كائن موحّد ونطلق عليه اسم الضمير..»[26]. ورغم ما يبدو من تضاد بين النهجين – العقل والوجدان -، إلا أن في التراث العربي موضع لذلك التلاقي والتعايش بينهما في بنية واحدة، إنها بنية الحدس الوجداني الصوفي ومنطق الحكمة الفلسفية، يقول عن هذه الحقيقة «فإذا ما حللنا عيون التراث العربي في شتى ميادينه، وجدناه نسيجا متآلفا بين فكر عقلي منطقي، ووجدان صوفي وشعري، وكأنّ اللغة العربية ركبت تركيبا يجعل الجانبين معا، فهي منطقية إلى حدّ بعيد إذا ما قيست بغيرها من اللغات، ثم هي مشحونة بشحنات وجدانية إلى حد بعيد كذلك»[27]؛ إنّ المفكّر العربي يجعل من التدبر العقلي والوجدان القيمي الأخلاقي معا، مسلكين للتحصيل المعرفي، وإدراك الحقائق، «فللعقل أن يفكّر ما وسع قدراته أن يفكّر، لكنّ الإنسان الكامل بما يكون مزوّدا به من قيم خلقية، يقف رقيبا قبل البدء في مرحلة التنفيذ والتطبيق، ليحدّد مجال الفعل، بحيث تضمن لنا ما قد ارتآه العقل بقوّة ذكائه، سيكون في صالح الإنسانية إذا ما تحوّل إلى عمل»[28]؛ فالعقل الذي يجتهد في التخطيط والتفكير في البناء الحضاري، يحتاج إلى توجيه القيم الأخلاقية الوجدانية، حتى يكون عمله ضامنا للبناء لا الهدم والدمار؛ فهذا الوجدان الأخلاقي سيكون بمثابة الرقيب على تفكير وسلوك الإنسان، بقصد تجسيد معاني القيم الحضارية السامية.

- التراث العربي تجسيد لتوافق النظر العقلي والإيمان العقدي:

فأصالة حضارتنا فيما يعتقد زكي نجيب محمود تتجلى في طابعها الروحي الإيماني، وما تحويه من قيم ومشاعر دينية، وتظهر مكانة العقل إلى جانب الدّين، في كونه الآلية الاستدلالية الفاعلة، التي تمكّننا من فهم وقراءة النصّ الديني، وفي الوقت نفسه استخلاص المفاهيم والدلالات المقصودة، إنّه يستهدي بالنصّ الديني من حيث هو منطلق الاستدلال، ثم يتّجه نحو الاستشهاد، والإثبات العملي في عالم الأشياء؛ وفي العلاقة التكاملية بين دلالات النص الديني والاستدلال العقلي، يقول «وهذا العقل إنّما هو بطبيعته يهدي ويهتدي في آن واحد، فهو يهدي إلى النتائج الصحيحة التي تستدل من الشواهد والمقدّمات، ثم يعود فيهتدي في جانب التطبيق إلى عالم الأشياء»[29]؛ وهنا نلحظ كيف أنّه يدعو إلى توظيف النص الدّيني

25- زكي نجيب محمود، قيم من التراث، ص19.

26- زكي نجيب محمود، عربي بين ثقافتين، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1993، ص15، 16.

27- زكي نجيب محمود، قصة عقل، ص177.

28- زكي نجيب محمود، عن الحريّة أتحدّث، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1989، ص167.

29- زكي نجيب محمود، رؤية إسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1987، ص6.

وفهمه بما يحدث في الوقت نفسه علاقة تواصلية مع عالم الأشياء الخارجية، باعتماد الاستدلال العقلي، الذي يعطي للنص الدّيني حضورا عمليا وعلميا.

والمتأمل في تراثنا الحضاري فيما يقول زكي نجيب محمود، سيجد أن المسلم في مرحلة ازدهار حضارة الإسلام، كان يجسد ذلك التكامل والتوازن بين متطلبات وإرشادات الدّين من جهة، والتدبر العقلي في العالم الطبيعي، والاجتهاد في تجسيد القيم والمبادئ العامة للدّين عمليا من جهة أخرى؛ فلا بدّ أن تكون نظرتنا عقلية في فهم مقاصد الدّين، وفهم الواقع المعيش، وما يحتاج إليه من كشف علمي، وممارسات سلوكية عملية، وهذا هو المطلوب تجسيده في حضارتنا المعاصرة.

يقول: «فالذي ينقصنا هو أن ننظر إلى السماء وإلى الأرض معا، نظرتنا إلى العقيدة من جهة، والجهاد في سبيلها من جهة أخرى، ويكون هذا الدّمج بين الطرفين هو المضمون الإنساني الذي يتمثّل في كلّ فرد من أبناء الشعب، شريطة أن يتسع بنا أفق النظر حين ننظر للجهاد المطلوب، بحيث يكون العلم بكلّ فروعه بحثا وتحصيلا وتطبيقا، فريضة من العقيدة تتطلّب الجهاد في سبيلها»[30]؛ فالعقيدة ليست مجرّد نصوص صمّاء للقراءة، بقدر ما هي حقائق تستدعي التدبر العقلي لفهمها والكشف عن مقاصدها، والاجتهاد الجاد للعمل والاسترشاد بها عمليا، ومثل هذا الاجتهاد يعتبر فريضة عقدية يلتزم بها الإنسان.

خاتمــة:

وفي خاتمة مقالنا هذا يمكن أن نخلص إلى عديد الاستنتاجات أهمها:

- الخطاب الحضاري لزكي نجيب محمود في إطار مشروع النهضة العربي هو حصيلة رحلة فكرية وحضارية طويلة وفاحصة، انتقل خلالها عبر مرحلتين ثقافيتين، اجتهد من خلالهما إلى تنوير العقل العربي، بضرورة البناء الحضاري: مرحلة الإعجاب بالحضارة الثقافية للغرب، والدعوة إلى اتخاذها نموذجا أمثل للتقدم، ثم مرحلة تجديد الفكر العربي في إطار المواءمة بين ثقافة الهوية، وقيم المعاصرة، خصوصا العلمية منها والتقنية.

- الخطاب الحضاري لزكي نجيب محمود كان خطابا ابستملوجيا، فقد أحاط بالتراث الحضاري العربي بالنقد الثاقب مبرزا أولا عيوبه، كاشفا عن مضامينه المعيقة للبناء الحضاري النهضوي، ثم بعدها راح يستقرئ مزاياه، موجها العقل العربي نحو ضرورة إعادة قراءته، والتمييز بين المنتج التاريخاني الظرفي، والمنتج المشرق القابل للإحياء، واستلهام قيمه وعبره..

- في نقده واحتقاره للتراث العربي، يمكن القول أن ما زاد من حدة ثورته عليه، هو هيمنة النزعة الوضعية المنطقية على نهجه الفكري؛ فتَحتَ تأثيرها كان ينظر إلى التراث الحضاري العربي على أنه يمثل مرحلة تفكير سحري، وبنهجه هذا أدرج كذلك المنجز الثقافي التراثي في خانة التفكير الميتافيزيقي البعيد عن ثقافة وخصوصيات الإنتاج العلمي الذي بلغته الحضارة الغربية، وارتقت بفضله نحو الأفضل المفيد.

- إن التعايش الثقافي الذي يجسده الخطاب الحضاري عند زكي نجيب محمود، ليس يعني التجميع والتلفيق بين قيم التراث وقيم المعاصرة، بل إنه يعني ذلك التأليف الفعال بين حكمة العقل، وخطاب الوجدان، أو لنقل تلك المواءمة بين منظومة القيم الحضارية المشرقة في

30- زكي نجيب محمود، في تحديث الثقافة العربية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1987، ص81.

التراث العربي ومتطلبات الحياة العلمية المعاصرة، وهي المواءمة التي انتهت إليها قناعته، باعتبارها الآلية المنهجية لتجديد الثقافة العربية، وبفضلها تُصان قيم تراثنا الأصيل، وفي الوقت نفسه القدرة على مسايرة ثقافة العصر.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1- زكي نجيب محمود، بذور وجذور، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1990.
2- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1978.
3- زكي نجيب محمود، حصاد السنين، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2005.
4- زكي نجيب محمود، رؤية إسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1987.
5- زكي نجيب محمود، شروق من الغرب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1983.
6- زكي نجيب محمود، عربي بين ثقافتين، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1993.
7- زكي نجيب محمود، عن الحريّة أتحدّث، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1989.
8- زكي نجيب محمود، في تحديث الثقافة العربية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1987.
9- زكي نجيب محمود، قصّة عقل، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1982.
10- زكي نجيب محمود، قيم من التراث، دار الشروق، القاهرة، 2000.
11- زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، بيروت، ط4، 1978.
12- زكي نجيب محمود، هذا العصر وثقافته، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1982.

ثانيا: المجلات:

1- زكي نجيب محمود، نافذة على فلسفة العصر، مجلة العربي، أفريل، 1990.